

الفكاهة في شعر إبراهيم ناجي

على الرغم مما عُرف عن الشاعر الطبيب إبراهيم ناجي من خفة الظل وجمال الروح ، فإن ديوانه المطبوع لم يحفظ لنا نواتره وفكاهاته الشعرية إلا بقدر يسير لا يتفق وما كان يرويه عنه مخالطوه من خفة الروح التي كانت تبلغ أحيانا حدًا لا يصل إليه الا القليلون حيث كان يتندر بنفسه وقد شاعت عنه قصة كان يرويها في مجالسه ، خلاصتها أن أحد مرضاه كان رجلاً فقيراً أزرى به البؤس وأنهك جسده المرض ، وكانت زوجته ترافقه إلى عيادة الدكتور إبراهيم ناجي ، وبعد أن كشف الطبيب ، أدرك بفطنته وعلمه أن مريضه لا يشتهي إلا الجوع الشديد فانتحى بزوجة الرجل جانباً وأخرج لها من جيبه مبلغاً لا بأس به من المال وأعطاه إياه ونصحها بأن تشتري لزوجها منه لحمًا ودجاجاً وأن تعتني بطعامه وتصادف أن رأى تلك السيدة بعد حين في أحد الشوارع فنادها وسألها عما فعلت بالبلغ ، فقالت له في براءة إنها أخذت المبلغ وأخذت زوجها وذهبت به إلى طبيب آخر (يفهم في الطب) على حد قولها . إلى آخر تلك النوادر التي كان ناجي يقصها لجلسائه .

وأول ما يطالعنا من فكاهاته الشعرية تلك المعركة التي دارت بينه وبين الشاعر محمود غنيم ، فقد كانا مدعويين في حفل أقامه الوزير الأديب دسوقي باشا أباطه ، وكان من شروط الحفل - كما اشترط الداعي - ارتداء " الردنجات " وهو البدلة الرسمية التي تلائم المناسبات الرسمية . وحدث أن ذهب محمود غنيم بلباسه

العادي ، فعاتبه دسوقي باشا أباظه لعدم ارتدائه الردنجات - فقال غنيم إنه لا يملك الردنجات لأنه فقير ، وما كان ليستعيه كما فعل ابراهيم ناجي وكثير من الحاضرين . فهاهم أولاء يجلسون وقد تخبطوا في لباسهم لأنها ملابس مستعارة لا تلائمهم طولاً وقصراً كما قال غنيم :

ليس يقوى عليه جيب الفقير	الردنجوت يا جناب الوزير
ثم أحجمت خوف مَنْ المعير	رمت أن أستعيه مثل "ناجي"
ورأيت الطويل فوق قصير	كم رأيت القصير فوق طويل
نسجوه من سندس وحرير	لست أرضى بثوب غيري وإن هم

ولم يكن ابراهيم ناجي ليسكت بعد أن أضحك غنيم عليه المجلس ، فنظم قصيدة طويلة في هذه المناسبة بدأها بمدح الوزير الأديب دسوقي أباظة باشا فقال

دعوت فليتنا ودارك كعبة	بها انعقد الإخلاص والحب طوفا
خيلتُنا تهفو إليها قلوبنا	وأبي فؤادٍ للخميلة ما هفا
بنوك الألى تحنو عليهم تعظفا	وترعاهم . برأ بهم متلظفا
إذا خلعوا بعض الوفاء فسعهم	فمثلك عن مثل الذي صنعوا عفا

وبعد أن يتحدث ناجي عن ندوة أباظة وما تفيض به من كرم وأريحية وما يجده الشعراء فيها من راح وروح وطعام وشراب ، ينتقل إلى أصدقاء الندوة فيسأل إن كان فيهم من يستطيع أن ينقل للآخرين أخبار واقعة الردنجات التي دارت بين ناجي وغنيم :

فيا ندوة السمار هل من مسجل
ليشهد أن الشعر شيء مشى بنا
وفي دمننا يجري به متواصلاً
فهل ناقل عني الغداة وناشر
حديث غنيم والردنجوت والذي
يدون إعجاز القرائح منصفاً
مع الطبع جل الطبع أن يتكلفنا
مع النفس الجاري وينساب مرهفاً
مقالة صدق قد أبت أن تحرفاً
جرى بيننا ما كنت بالحق مرجفاً

ويحكي ابراهيم ناجي كيف رأى محمود غنيم أمام أطباق المائدة المتجاورة
وقد دارت رأسه ، واستبدت به الحيرة ، وأخذ يتلفت يمناً ويسرة مستنجداً بمن
يجاورونه عسى أن يسعفوه ، فهو لا يدري ما طبيعة اللحم الذي أمامه ، أهولحم
ديوك أم لحم خراف ؟ وما إن رأى إبراهيم ناجي قريباً منه حتى أرسل إليه نظرة
مستغيث حائر يسأله أن ينتشله من هوة الارتباك حتى يعرف ما الذئبي أمامه ؟
ففهم ناجي الإشارة وتقدم بشهامة ليقدم كلاً منهما للآخر : يا أيها الديك هذا
أخونا محمود غنيم ، ويا غنيم هذا ديك يؤكل فتبادلا النظر ولم يتعرف أحدهما إلى
الآخر إلا بعد جهد جهيد .

بصرت به والصحن بالصحن يلتقي
ترأى له لحم فلم يدر عنده
وأومأ لي باللحظ يسألني به
وقدمته للديك وهو كأنها
غنيم ! أخونا الديك! قدّمتُ ذا لذا
فلم أر أبهى من غنيم وأظرفاً
تديك من بعد الطوى أم تحرفاً
أتعرفه ؟ أو مأت باللحظ مسعفاً
يطير إليه واثباً متلهفاً
فهذا لهذا بعد لأي تعرفاً

وما إن تعارف المتناكران : غنيم والديك ، حتى أخذنا بأسباب المودة وتبادلا
الغزل العفيف ، فارتفعت بينهما الكلفة . وما هي إلا لحظات فإذا بغنيم يصرع
الديك ويمزقه إرباً إرباً بأسنان لا تعرف للرحمة اسماً ، فأصبح الديك بين تلك
الأسنان العتيقة نسيا منسياً :

وما هي إلا لحظة وتغازلا وقد رفعا بعد السلام التكلفا
فمال على الورك الشهي مُمَزَّقَا ومال على الصدر النظيف منظِّفاً
جزى الله أسناناً هناك عتيقة ظللن على الصحن الأباطي عكفاً

ثم ينتقل إبراهيم ناجي إلى حديث الردنجات فيخاطب صديقه غنيماً
فيقول : إنك تعير ناجي بأنه استعار معطف الردنجات ، فلم لم تستعر أنت واحداً
مثله ؟ إن سبب عدم استعارتك مفهوم وهو أنك لا تفهم كيف يرتديه من يرتدونه
ولو أن أحداً أعارك إياه لتحيرت لا تدري كيف تلبسه ولم تعلم له ظاهراً من باطن
ولا وجهاً من قفا وما ذاك إلا لما فيك من سذاجة و(عَبَط) :

تُعير ناجي بالردنجات جاءه معاراً فغامر واستعر أنت معطفاً
وأقسم لو أن الردنجات نلته وجاد به من جاد كرها وسلفاً
لقلبتَه ظهر البطن محيرا به تحسبن الوجه من عَبَط قفاً

ويعود ناجي بعد ذلك إلى نهم صديقه غنيم وجوعه ، وما يلم به حين يرى
العدس الأباطي الشهير وقد جيء به إلى المائدة ، فإذا هو ينتفض انتفاضة المصاب

بالحمى إذا بشروه بالشفاء ، وما إن يستوي الطبق أمامه حتى ينهال عليه ولا يتركه
إلا قاعاً صفصفا :

رأيتك والعدس الأباظي قادم كما انتفض المحموم بُشَّرَ - بالشفاء
وناهيك بالعدس الأباظي منظرا عظيما كما هيأت للعين متحفا
على أنه ما جاء حتى رأيتَه تواري كطيف لاح في الحلم واختفى
فله من لفظ ببطنك راسب قريرو ومعناه برأسك قد طفا

وعلى غرار ما كان يفعل الشعراء القدامى حين يقولون (قفا نبك) - فقد
كان لكل شاعر عربي رفيقان لا يفارقانه ، أحدهما خادمه ، والثاني راويته - ينادي
إبراهيم ناجي رفيقه ليقف معه حتى يبكي الثلاثة إذا شاءوا البكاء ، أو يضحكوا
إذا شاءوا الضحك من منظر صاحبهم غنيم العجيب الذي تتراءى له صحاف
العدس كأنهن غيد يغازلهن بعينيه فإذا أقبلت إليه واحدة منهن أنكرته وتساءلت
من يكون ؟ مع أن ما به من جوع وشوق إليها لا يخفى على أحد (وهنا يُضمَّن
إبراهيم ناجي البيت الشهير لأبي فراس الحمداني :

تسألني من أنت وهي عليمه وهل بفتى مثلي - على حاله - نُكْرُ؟

مع تعديل طفيف فيقول ناجي :

قفا نبك أو نضحك على أي حالة قفا صاحبي اليوم من عجب قفا
كأن صحاف الدار في عين صاحبي غوان كستهن المحاسن مطرفا
أشار لإحداهن إذ برزت له وناجته عن بعد وأبدت تعظفا

" تسألني من أنت وهي عليمه "
 وهل بفتى مثلي على حاله خفا؟
 سأخبرها من أنت! انك شاعر
 قنوع إذا ما الخبر جاء تفسفا
 ومن أنت حتى ترفض النعمة التي
 أتحت وتأبى مثلها متقشفا
 فتى حاله غلبٌ وآخره الطوى
 وخطه عريٌّ ومشرّوعه الحفا

ومن فكاهات ابراهيم ناجي الشعرية الشهيرة تلك المقطوعة التي هجا فيها صديقاله دميماً ، وصفه بأنه حشرة ، وبأنه - بمنظره المشوه - يعتبر فخراً بداروين الذي قال بأن أصل الإنسان قرد . ويتخيل الشاعر أن أم صاحبه حين ولدته ونظرت إلى وجهه شعرت بأنها ارتكبت جرماً عليها أن تعتذر للبشرية عنه :

رجل أرى بالله أم حشره
 سبجان من بعيده حشره
 يا فخر داروين ومذهبه
 خلاصة النظرية القذرة
 يا عبقرياً في شناعته
 ولدتك أمك وهي معتذره

ويهجو ناجي شاعر سوء من أولئك الذين يرتكبون الشعر دون موهبة فإذا هم ينحتون من الصخر بيوتا لا روح فيها ، فكأن ما ينظمونه حجارة يرمون الناس بها إذا أنشدوها على مسامعهم . وها هو ذا ناجي يستمع إليه فيبلغ به اليأس مبلغاً عظيماً فيصرخ في وجه صاحبه : كفّ أيها المتشاعر فأنت لا تصلح لأن تكون شاعراً . فشعرك يزهق الأرواح لما فيه من ركافة وما يسببه من إزعاج فليتك تموت ليستريح الناس :

أيها الحبي ومما ضر الورى لو كنت مُتًا
أَوْ شِعْرُ ذَاكَ؟ لا بل حجر ينحت نحتًا
تلقم الناس وترمي هم به فوقًا وتحتًا
صحت من يأسى لما بريكك الشعر صحتًا
آه يا قاتل ياسف اك! حتى أنت حتى!

وهكذا يبدو أثر ثقافة ناجي في شعره الفكاهي ، فهو طبيب ثقافته علمية ومن ثم فهو يجنح إلى وصف دمامة مهجوه بأنها تطبيق لنظرية داروين ، ويتمنى لمهجوه الآخر الموت . والحياة والموت من المفردات الشائعة في لغة الأطباء لأنها ترتبط بطبيعة عملهم .

أمير الشعراء... المزيّف!

في أواسط القرن العشرين، كانت المنتديات الأدبية، والسهرات الثقافية على المقاهي سمة بارزة من سمات الحياة الفكرية في مدينة القاهرة. وكان جماعة من الشعراء قد اعتادوا في سهراتهم الأدبية أن يتبادلوا الدعابات والمرح، ولا تخلو لياليهم - بين حين وآخر- من متطفلين يفسدون عليهم متعتهم، فإذا بهم يوسعون أولئك المتطفلين هجاءً وسخرية ونقداً.

وكان من أولئك المتطفلين شويعر خفيف الظل اسمه "حسين أفندي محمد" كان محبباً إلى الشعراء لخفة ظله التي تغفر له ركاكة شعره. ولكنه كان شديد الإيمان بأنه شاعر عظيم!! وأنه سيد شعراء عصره ولا فخر، وقد لُقّب نفسه بلقب

"البرنس" وهي بالإيطالية تعني الأمير، وذات ليلة من ليالي شهر رمضان، اقترح الشعراء إقامة حفل لمبايعة البرنس "حسين أفندي محمد" أميراً للشعراء بعد أن مر نحو ربع قرن على وفاة "أحمد شوقي بك" دون أن يخلفه أحد على إمارة الشعر العربي!!

وكان من بين هؤلاء الشعراء: "محمد الأسمر" و "أحمد الكاشف" و "السيد حسن القاياتي" و "محمد الهراوي" و "حسين شفيق المصري" و "كامل كيلاني" ... وغيرهم.

وقد قال الشاعر "محمد الأسمر" في تلك الحفلة قصيدة في مبايعة أمير الشعراء البرنس "حسين أفندي" جاء فيها:

يا أميرَ الشُّعراءِ	أَنْتَ أَوْلَى بِاللُّوَاءِ
سـيـدي فـلـتـهـنـأِ اليـو	مَ بـمـلـكِ الأـدبـاءِ
(امرؤ القيس) على با	بـكَ بـعـضُ (الأمناء)!!
و (أبو الطيب) في الدو	لـبـة بـعـضُ الـوـزراءِ!!
و (النَّوْاسِي) و (هـا	رُونُ) مـعـأَ فِي النُّـدـمـاءِ؟!
و (المعري) لـدى الشُّـ	دَّة يـجـبـو للـعـلاءِ!!
سـيـدي رـجـجـع لـتـاشـعـو	رَـكْ، واهـتـفـ ما تـشـاء
حيثُ لا تـسـمـعُكَ الأـر	ضُ، ولا تُصـغـي السـماء
سـيـدي مـوـلايَ يـامـو	لِي جـمـيـعِ الشـعـراءِ

تِيَّتَ اللهُ لَكَ (العَزْرُ شَس) وَإِنْ كَانَ هَوَاءًا!!

وقال الأستاذ "أحمد الكاشف":

إِمَارَةُ الشَّعْرِ خُذْهَا يَا حَسِينَ فَقَدْ
وَأَدْرَكَ اللَّقْبَ الْمُضْنَى سِوَاكَ بِهِ
يَا مَنْ يُدَبِّرُ سُلْطَانًا وَمَمْلَكَةَ
وَمَنْ يُجَيِّئُهُ اتِّبَاعٌ وَحَاشِيَةٌ
وَحَسْبُكَ الْيَوْمَ دَارَ الْكُتُبِ عَاصِمَةٌ
مَنْ لِي بِسَدَّتِكَ الْعَلِيَا أَقْبَلُهَا
هَذَا نَصِييِي مِنَ الْفَوْضَى ظَفَرْتُ بِهِ
لَمْ يَغْنَنِي الْجَدُّ فِي قَوْلٍ وَفِي عَمَلٍ
وقال الأستاذ "محمد الهراوي":

إِلَى الْعَرْشِ فَاصْعُدْ وَامْضِ بِالْأَمْرِ واقطع
وَصَرِّفْ أُمُورَ الشَّعْرِ فِي الْأُمَّةِ الَّتِي
فَأَنْتَ أَمِيرُ الشَّعْرِ غَيْرُ مَنْزَاعٍ
وَمُرٌّ، وَانَهُ، وَامْنَحْ مَا بَدَلَكَ، وَامْنَعِ
تُمِيتُ رِجَالَ الشَّعْرِ فِيهَا وَلَا تَعِي!!
وَكَلَّ أَمِيرٍ غَيْرِ شَخْصِكَ مُدَّعٍ

وقال الأستاذ "السيد حسن القاياتي":

يَا حَسِينَ يَا عَزِيزِي يَا أَمِيرِي
سَدَّ كَمَا سَادَ صَرِيرُ شَدِّ مَا
يَا أَمِيرَ الشَّعْرِ فِي اللَّبِّ الْغَرِيرِ
أَمَّرَ الْأَقْلَامَ فِي وَادِي الزَّرِيرِ

وقال الشاعر " حسين شفيق المصري ":

يا حُماة القريضِ حولِ البرنس
وهل الحكم والإمارة إلا
يقرض الشعر مثلما يقرض الفا
كان من قبله القريض بجلبا
أيها الشاعر الكبير رضينا
أصبح الشعرُ دولةً ذاتَ كُرسي
لبرنس يُضحى برأيٍ ويُمسي—
رحبالا قد تلت من دِمَقْس
ب فأضحى (بينطلون) (وجرس)
ك أميراً، فكنه تفديك نفسي—

وقال الشاعر " كامل كيلاني ":

تَه بالإمارة لا تعدل بها بدلاً
قد ارتضاك حُماة الشعر قاطبةً
عابوا المقلد في الأشعار ينظمها
قلنا " صدقتم. فهاتوا من روائعكم
قلنا " أبينوا، خستتم، لا أبالكم
فأجفلوا، ثم قالوا: " ما لمثلكم
قد جَدَّدَ العصرُ— في وزنٍ وفي لغةٍ
رطانةٌ لستَ تدري حينَ سمعها
فكن أميراً لهذا العصر— مضطلعاً
إن يركب الجحشَ شعورٌ لغايته
وإن يكن شعْرهم من سَخْفِهِ بصلاً
وقم بأعبائها - إن شئتَها - بطلا
أميرهم فلتكن في عصرنا مثلاً
وأنكروا أن يروه نادباً طلالا
فجمجموا القول مسروقاً ومنتحلا
وأفصحوا هبلتكم أمكم هبلا
أبداعنا، فرأينا جدهم هزلا
فلمست تعرفُ شعراً قال أم زجلا!!
أقال مُحْتَفِلا أم قال مُرْتَجِلا
بثقله واحتمل أعباءه رجلا
فما رأيُناك إلا راكباً جملاً
فإن شعرك يحكي الشهدَ والعسلاً

(مُرُ وادع وانه وسل وأعرض لحضهم تمن وارج كذاك النفي قد كملا)

وقال الشاعر الخطاط الشهير "سيد إبراهيم":

من حيثُ إنَّ الفنونَ أضحَتْ في مركزِ تاعسٍ خسيسِ
وصارَ أمرُ القريضِ فَوْضَى وليسَ للشعرِ من رئيسِ

وحيث إن البرنسَ أهل قد قرر المحفونَ جَمْعاً
لذلك المنصبِ الخطيرِ تقيده منصب الأميرِ

فيا أميرَ القريضِ أقدم وبطلَ الفنِّ من أساسه
ومَنْ يُخالف فامنحه عفواً وإن تشأ فلتطح براسه

واقبل إذا شئتَ بعد هذا إمارة الخطِّ مُسْتَقْلاً
فقد غدا الفنُّ لا يساوي قلامه الظفر أو أقالاً

والشعر في مصر - يا أميري مستفعلن فاعل فعول
فكن أميراً على القوافي فالناس ليست لهم عقول

وقال الشاعر "عبد الجواد رمضان":

دَعْتِكَ وقد تَوَافَرَ طابُوها وهل يَحْوِي العُلاَ إلا بَنُوها

أميرُ الشعر أنتَ وإن تَغَالَى وأسرفَ في الدَّعايَةِ مُدَّعُوها
جِيعٌ تاجروا باسمِ القوافي وقد ربحوا الحياةَ وأخسروها
سأحي عَرشَها وأذودُ عنها زعانفَ للردِيلة سَخروها
وهل خُلِقَتْ جلالَتُها لغيري وشِعْري أمَّها وأنا أبوها
وقال الشاعر "عزيز بشاي":

على العرشِ فاجلس أو على النجمِ فاحلِّ فدونك هذا منزلاً بعد منزلٍ
بلغتَ سماءَ الشعرِ وحدك عالياً على الناسِ فالبس تاجَهُ وتقبَّل
وصرتَ أميرَ العرشِ فارفعِ لواءهُ على مصرَ- واجلس في الإمارةِ وانجل
أميرٌ إذا هزَّ اليراعةَ أقبلتُ ملوكُ النُّهى تسعى إليك وتجتلي
وفي نهايةِ الحفل ألقى أميرُ الشعراءِ المزيّفُ قصيدتين اثنتين، وفيما يلي
القصيدتان اللتان أنشدهما (البرنس) في هذا الحفل الدُّعابي.

القصيدة الأولى :

على الشعراءِ قد صرْتُ الأميرا وإن كنتُ الحَبْغُثَةَ الصَّغِيرَا
أنا (المتنبي) في نظمي ونثري أقول الشعرِ غختلا فخورا
وإني للرئيسِ بكلِّ نادٍ أحاكي الشمسِ في الدنيا ظهورا
بدارِ الكتبِ قد قضيت عمري نقى الجيبِ أستاذاً حصورا
تلاني الشاعرُ المتنبي قدما!! وجبت قريضهُ سبجاً بحورا
لوائِي قد سما فوق الثريا له القِدحُ المَعْلَى هدىً ونورا

له القدح المعلى في المعالي
على الشعراء قد صرّت الأميرا
لوائى ما بدا يسمو البدورا
على الشعراء قد صرّت الأميرا
القصيدّة الثانية :

رجال المجد دُمتم للمعالي
فأنتم سادة الأدباء طراً
مَدى الأيام في تحسين حالي!!
وأنتم كالفرائد في الجمال
برغم حواسدي، آل العوالي
بحاء قبل ميم قبل دال؟!
بكم جزت الأواخر والأوالي
له نعم الثمّال مدى الليالي
وفي هذي الإمارة فهو تالي
لإحياء المروءة كالحوالي
وأجلسكم على السبع الطوال
وأبقاكم لنادون انفصال
وجاهالي بَدا دون الزوال
رجال المجد دمتم للمعالي
برنسكم لكالمتني شعرا
أدام الله علياكم جميعاً
وأبقى أنسكم في كل نادٍ
وأحياكم حياة لي وعزاً
وأبقاكم طوال العصر - حصناً
بكم تبدو المواسم وهي تشدو